وجوه الترجيح عند الإمام البكري

عبد النبي عبد الموجود

مقدمة

الحمد لله الذي شرفنا على الأمم بالقرآن المجيد، ودعا فيه إلى الحكم إلى الأمر الرشيد، وقوّم به نفوسنا بين الوعد والوعيد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وبعد،

يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله –: "فلمّا كان كمال الإنسان إنما هو بالعلم النافع والعمل الصالح، وهما الهدى ودين الحق كان حقيقيًا بالإنسان ألا ينفق عمره – بل أنفاسه – إلا فيما ينال به المطالب العالية، ويخلص به من الخسران المبين، وليس ذلك إلا بالإقبال على القرآن وتفهمه وتدبره واستخراج كنوزه، وإثارة دفائنه، وصرف العناية إليه، والعكوف بالهمة عليه، فإنه الكفيل بمصالح العباد في المعاش والمعاد، والموصل لهم إلى سبيل الرشاد"[1].

وقد تكفل الله – تعالى – بحفظ كتابه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر: 9]، وقيض له رجالاً يقومون على خدمته، فكان أول هؤلاء القوم هم الصحابة رضوان – رضوان الله عليهم – أبرّ الناس قلبًا، وأصدقهم لسانًا، وأوعاهم حفظًا وفهمًا، فشاهدوا التنزيل وفقهوا التأويل، وكان أكبر همهم ومنتهى سعيهم أن يحفظوا خطاب الله – تعالى – لعباده، ومعرفة مراده من كتابه.

ثم جاء من بعدهم جيل راشد، وعدول أثبات، وأئمة أعلام، شمّروا عن ساعد الجد، وكفوا من بعدهم مؤنة جمع العلم وتبويبه وفقهه ودراسته حتى اجتمع للمتأخرين قدر كبير من الروايات والآثار في كل باب من أبواب العلم، وجملة أكبر من الشروح والتعليقات بحسب ما وفقهم الله إليه من الفهم والاستنباط.

وكان من أولئكم النفر هو شيخ الإسلام الفقيه، المحدث، المفسر، الصوفي الناظم أبو الحسن تاج العارفين محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عوض بن عبد الخالق، البكري الصديقي المصري من علماء الشافعية الذي خط ببراعة كتابه في تفسير كتاب الله – جل وعز – باسم (**الواضح الوجيز في تفسير القرآن العزيز**)، وقد اخترت : (**وجوه الترجيح عند الإمام البكري في كتابه: الواضح الوجيز في تفسير القرآن العزيز**) ليكون عنوان هذا البحث – بمشيئة الله – ليقف القارئ من خلاله على الوجوه التي كان يستعملها الإمام البكري في تفسيره، وسيكون البحث بمشية الله تعالى في الصورة التالية:

أولاً: المقدمة، وفيها الحديث عن الموضوع، والخطة العامة للبحث.

ثانيًا: التمهيد، وفيه الحديث – موجزًا – عن الإمام البكري.

ثالثًا: **صلب البحث، وقد جاء في تسعة مباحث:**

المبحث الأول: الترجيح بالنظائر القرآنية.

المبحث الثاني: الترجيح بالسنة النبوية.

المبحث الثالث: الترجيح بأقوال الصحابة – رضوان الله عليهم –.

المبحث الرابع: الترجيح بأقوال جمهور المفسرين.

المبحث الخامس: الترجيح بدلالة كلام العرب.

المبحث السادس: الترجيح بدلالة السياق.

المبحث السابع: الترجيح بدلالة الظاهر.

المبحث الثامن: الترجيح بتقديم العموم على الخصوص.

المبحث التاسع: الترجيح بحمل الكلام على ترتيبه.

رابعًا: الخاتمة، وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

خامسًا: الفهارس الفنية، وفيها فهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

التمهيد

التعريف بالإمام أبي الحسن البكري [2]

أولاً: نسبه:

هو محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عوض بن عبد الخالق بن عبد المنعم بن يحيى بن يعقوب بن نجم الدين بن عيسى بن داود بن نوح بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق -رضي الله عنه- البكري الصديقي الشافعي الأشعري المصري، هكذا ذكره والده في نهاية تفسيره المسمى "الواضح الوجيز في تفسير القرآن العزيز"، ويسمى باسم على بن محمد البكري، في الكواكب والشذرات ولم يستبعد صاحب جامع الكرامات أن يكون الأصل فيه" محمد علي" والأصوب ما ذكر في تفسيره.

وهو مفسر متصوف مصري من علماء الشافعية، ومشارك في بعض العلوم، وناظم للشعر، ومن آل أبى بكر الصديق - رضي الله عنه - وجامع بين العلم والعمل.

كنيته: أبو الحسن ابن القاضي جلال الدين البكري.

مولده: ولد بالقاهرة، في أحد عشر من جمادى الأولى سنة 898 هـ - 1493م، وكان يقيم عاماً بمصر وعاماً بمكة.

وجوه الترجيح عند الإمام البكري

وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: الترجيح بالنظائر القرآنية.

المبحث الثاني: الترجيح بالسنة النبوية.

المبحث الثالث: الترجيح بأقوال الصحابة – رضوان الله عليهم –.

المبحث الرابع: الترجيح بأقوال جمهور المفسرين.

المبحث الخامس: الترجيح بدلالة كلام العرب.

المبحث السادس: الترجيح بدلالة السياق.

المبحث السابع: الترجيح بدلالة الظاهر.

المبحث الثامن: الترجيح بتقديم العموم على الخصوص.

المبحث التاسع: الترجيح بحمل الكلام على ترتيبه.

المبحث الأول
الترجيح بالنظائر القرآنية

يعتبر تفسير القرآن بالقرآن أحسن طُرقِ التفسير وأصحها[3]؛ إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله منه سبحانه وتعالى، والاستشهاد بالنظائر القرآنية موجود في تفسير البكري، فهو يفسر بعض الآيات بما فهم من آيات أخرى.

الأمثلة على ذلك:

1- قال تعالى: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: 24]

قال البكري في قوله تعالى: {﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾: ﴿وَ﴾ حرمت عليكم﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾ المزوجات ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ لا يحل لكم أن تتزوجهن ما دمن في عصم أزواجهن حرائر مسلمات كن أو لا، أي: وبعد الطلاق إلى انقضاء العدة كما فهم من " البقرة"[4].

2- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء: 49]

قال البكري في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾: اليهود والنصارى قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، أو يزكي بعضهم بعضا قالوا: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: 111] أي: ليس الأمر بتزكيتهم أنفسهم[5].

3- قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء: 160]

قال البكري: ﴿فَبِظُلْمٍ﴾ بسبب ظلم ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ وهي ما سيأتي في سورة الأنعام من قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: 146][6].

4- ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 17]

قال البكري في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾: قاله ظنًا كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ [سبأ: 20][7].

المبحث الثاني
الترجيح بالسنة النبوية

السنة شارحة للقرآن وموضحة له، ولا أحد من الناس أعلم بكلام الله تعالى من رسوله – صلى الله عليه وسلم – الذي نزل عليه هذا الكتاب، قال ابن تيمية بعد ذكره لتفسير القرآن بالقرآن: فان أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له[8].

الأمثلة على ذلك:

1- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ [البقرة: 178].

قال البكري: ويقتل الذكر بالأنثى لما صح أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قتل من رضَّ رأس جارية حتى ماتت[9]، وتعتبر المماثلة دينًا فلا يقتل مسلم ولو عبدًا بكافر ولو حرًا كما بينته السنة[10].

2- قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255]

قال البكري في قوله تعالى: ﴿كُرْسِيُّهُ﴾: الكرسي: شيء أما العرش أعظم منه، وقيل المراد به العلم، وقيل الملك، وشهد للأول حديث «ما السماوات السبع في الكرسي إلا قدر دراهم سبعة ألقيت في ترس»[11].

3- قال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [النساء: 101]

قال البكري في قوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: وضح في السُّنة بقاء الرخصة في حال الأمن أيضًا[12].

4- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: 54]

قال البكري بعد ذكر الأقوال في هؤلاء: قيل: الأشعريون، وصح في السنة ما يدل عليه[13].

المبحث الثالث

الترجيح بأقوال الصحابة - رضوان اللّه عليهم -

الصحابة أعلم من غيرهم بتفسير القرآن؛ لأنهم شاهدوا التنزيل، وعايشوا أسبابه وعرفوا أحوال نزوله، وهم أهل اللسان والفصاحة، مع سلامة مقاصدهم وحسن فهمهم.

قال ابن تيمية: إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين؛ مثل عبد الله بن مسعود[14].

الأمثلة على ذلك:

1- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 30]

قال البكري في قوله تعالى: ﴿ خَلِيفَةً ﴾: أي يخلف الجن إذا كانوا في الأرض قبل آدم فلما أفسدوا واطردوهم بإذن الله للجزائر والجبال، أو عن الله في إقامة أحكامه قاله ابن مسعود وهو أقرب[15].

2- قال تعالى: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة: 60]

قال البكري في قوله تعالى: ﴿ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾: وهل المأمور بضربه عموم الأحجار بمعني أن كل مضروب يحصل منه ذلك، أو كان حجرا معيناً على قدر رأس الرجل يضعه في

مخلاته فإذا احتاجوا للماء ضربه، أو هو الذي فرَّ بثوبه أو غير ذلك مما في الأصل ؟ أقوال ثانيها لابن عباس رضي الله عنهما[16].

3- قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 133]

قال البكري في قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾: هل هو ماء حتى ماتوا فيه، أو دخل إلى بيوتهم ودخل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام، أو الموت أو أمر طاف بهم من الله تعالى، أو مطر عظيم؟ أقوال، الثالث منها لابن عباس[17].

المبحث الرابع
الترجيح بأقوال جمهور المفسرين

من صيغ الترجيح أن يكون القول قول الجمهور أو الأكثر، فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه، إذا كان من قبيل الخبر والرواية؛ لأن رواية الأكثر أبعد عن الخطأ والوهم.

الأمثلة على ذلك:

1- قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 24]

قال البكري في قوله: ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾: الجمهور على أنها الكبريت[18].

2- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 34]

قال البكري في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾: في علم الله تعالى عند الأكثر[19].

3- قال تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: 57]

قال البكري في قوله تعالى: {الْمَنَّ}: وهو ما من به تعالى عليهم بلا تعب، وهل هو الخبز الرقاق أو الترنجبين قولان الأكثر على الثاني[20].

4- قال تعالى: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 184].

قال البكري في قوله تعالى: **﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾:** أي موقتات بعدد معلوم وهل كتب على من قبلنا رمضان أو صوم في الجملة ؟ قولان الأكثر على الأول[21].

المبحث الخامس
الترجيح بدلالة كلام العرب

القرآن نزل بلغة العرب وأساليب كلامهم فلا بد الترجيح بلغة العرب، قال الشاطبي: أنه لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر، فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثم عرف، فلا يصح أن يجرى في فهمها على ما لا تعرفه، وهذا جار في المعاني والألفاظ والأساليب[22].

الأمثلة على ذلك:

1- قال تعالى: ﴿الم(1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 1، 2]

قال البكري في قوله تعالى: ﴿الم﴾: فيه وفي بقية فواتح السور أقوال كثيرة، أقربها أنها حروف مقتطفة من أسماء الله تعالى، فالألف من (الله) واللام من (لطيف) والميم من (مؤمن) واستدل له بقول الشاعر: –

قلتُ لها قفي لنا قالت قاف ...

أي وقفت[23].

2- قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ [البقرة: 102]

قال البكري في قوله تعالى: {هَارُوتَ وَمَارُوتَ} ملكان أنزلا لتعليمه ابتلاءً من الله للناس، وقيل رجلان ويرده فتح لام ملك[24].

3- قال تعالى: ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأعراف: 98]

قال البكري في قوله تعالى: ﴿ضُحًى﴾: نهارًا والأشهر استعماله في صدر النهار[25].

المبحث السادس
الترجيح بدلالة السياق

سياق الكلام: هو ما قبله وما بعده، وهو من أقوى الطرق لفهم المراد من الكلام.

قال ابن جرير معلّلاً لأحد ترجيحاته: وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في هذه الآية بالصواب؛ لأن الآيات قبلها وبعدها فيهم نزلت، فأولى أن تكون هي في معنى ما قبلها وبعدها إذ كانت في سياق واحد[26].

الأمثلة على ذلك:

1- قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: 173]

قال البكري في قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾: هل وقع ذلك في غزوة بدر الكبرى، أو في غزوة أحدٍ ؟ قولان الثاني لابن عباس وقتادة وهو أقرب لانتظام الكلام في قصة أحد[27].

2- قال تعالى: ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [النساء: 6]

قال البكري في قوله تعالى: ﴿ فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾: أي لليتامى، والأمر وجوب، وهذا دليل قوي؛ لأن الآية في اليتامى[28].

المبحث السابع
الترجيح بدلالة الظاهر

المراد بالظاهر: هو المعنى المتبادر إلى الذهن.

الأصل في نصوص القرآن أن تحمل على ظواهرها، وتفسر على حسب ما يقتضيه ظاهر اللفظ، ولا يجوز يعدل بألفاظ الوحي عن ظاهرها إل بدليل واضح يجب الرجوع إليه[29].

قال ابن جرير معلّلاً لأحد ترجيحاته مقرراً هذه القاعدة: ظاهر الكلام بالذي اخترنا من القول أشبه. وإذا تُنوزع في تأويل الكلام، كان أولى معانيه به أغلبُه على الظاهر، إلا أن يكون من العقل أو الخبر دليلٌ واضح على أنه معنيٌّ به غير ذلك[30].

الأمثلة على ذلك:

1- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30].

قال البكري في قوله تعالى: ﴿جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ﴾: خص به بعضهم مكة؛ لأن الأرض دحيت من تحتها، والأوجه بقاؤه على ظاهره[31].

المبحث الثامن
الترجيح بتقديم العموم على الخصوص

العام: قال الرازي: هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضعٍ واحد[32].

الخاص: قصر العام على بعض أجزائه[33].

ويجب حمل نصوص الشريعة على العموم، ما لم يرد دليل يقضي بتخصيصها، قال الشافعي: ولا يقال بخاصٍ في كتاب الله ولا سنة إلا بدلالة فيهما أو في واحد منهما، ولا يقال بخاص حتى تكون الآية تحتمل أن يكون أريد بها ذلك الخاص فأما ما لم تكن محتملة له فلا يقال فيها بما لم تحتمل الآية[34].

الأمثلة على ذلك:

1- قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: 58].

قال البكري في قوله تعالى: ﴿ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾: والآية وإن وردت على سبب، والعبرة بعموم اللفظ[35].

2- قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: 145]

قال البكري في قوله تعالى: ﴿ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴾: قيل: هو الغنيمة، وقيل: هو عام، وهو الأقرب[36].

المبحث التاسع
الترجيح بحمل الكلام على ترتيبه

الترتيب هو الأصل في الكلام، والتقديم والتأخير خلاف الأصل، فلا يحمل الكلام على خلاف الأصل إلا بدليل.

قال ابن جرير: ولا وجه لتقديم شيء من كتاب الله عن موضعه أو تأخيره عن مكانه إلا بحجّة واضحةٍ(37).

الأمثلة على ذلك:

1- قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: 17]

قال البكري في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾: فالمعنى مثل حقن دمائهم ونحوه كإضاءة النار، ثم بعد الموت انطفأ نورها، فبقوا على الضلال، أو المعنى كلامهم مع المؤمنين كالنار وذهابهم بعد إلى شيطانهم كزوال نورها، أو المعنى: هم قبل نزول فضائحهم كمستوقد النار، وبعد نزولها كمن ذهب ضوءها عنه.

قائلاً: أقول أقربها الأول، ثم الأخير(38).

2- قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: 46].

قال البكري في قوله: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، أو هم قوم خرجوا في الغزو بغير إذن آبائهم فاستشهدوا، أو قوم ماتوا في الفترة، أو أطفال المشركين، أو هم قوم من أهل الجنة، أو قوم رضي عنهم أحد الأبوين دون الآخر فيحبهم الله

حتى يرضى الآخر ثم يدخلهم الجنة على منهما يعرفون ويطالعون أحوال الفريقين. أقوال أبعدها الأخير وأصحها الأول[39].

3- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:34]

قال البكري في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: وهل كان السجود لآدم تحية وتعظيماً لا عبادة كسجود إخوة يوسف، أو كان آدم قبلة تشريفاً له، أو هو شكر واللام للتعليل ؟ أقوال أصحها الأول وأبعدها الأخير[40].

4- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: 87]

قال البكري في قوله: ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: هل هو جبريل يسير معه حيث سار، أو الروح ما نفخ فيه والقدس هو الله تعالى، أو الروح الظاهر أو الإنجيل واسم الله الأعظم؟ أقوال أصحها الأول[41].

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتُنال الرغبات، وتُقضى الحاجات، والصلاة والسلام على رسولنا المنقَّى من الذنوب والهفوات.

وبعد، فهذا ما وفقني الله – عز وجل – إليه، في بحثي الذي كان بعنوان: (**وجوه الترجيح عند الإمام البكري في كتابه: الواضح الوجيز في تفسير القرآن العزيز**)، وقد توصلت من خلاله إلى بعض النتائج، ومنها:

أولاً: تمتع الإمام البكري في الأوساط العلمية في عصره، وعند من جاءوا بعده بمكانة علمية مرموقة، فهو أصولي بارع، وفقيه مجتهد، ولغوي مدقق، وصاحب لسان بليغ، يشهد بذلك نتاجه العلمي الغزير والمتنوع في مختلف العلوم الشرعية.

ثانياً: لم يكن الإمام البكري في تفسيره مُقَلِّدًا لمن سبقوه أو مجرد ناقل لما كتبوه، بل كانت له شخصية مستقلة ينتقد ما لا يرضاه من آراء، ويُقِرُّ ما يراه الحق والصواب، كما أنه لم يكن مُقلِّدا في اختياراته العلمية، سواء كانت تفسيرية، أم فقهية، أم لُغوية، بل كان مجتهدًا يعتمد الدليل والنظر.

ثالثاً: غزارة علم الإمام البكري –رحمه الله– وتضلعه في كثير من العلوم كاللغة العربية والفقه والأصول، ونظمه للشعر – أيضًا –.

رابعاً: أوضح البحث اعتماد الإمام البكري التفسيرَ بالرأي للكثير من الآيات القرآنية، فهو يرى بأن الطريقة المثلى للتفسير هي الاعتماد على النقل والعقل، ولكن وفق الضوابط الشرعية واللغوية.

خامساً: تأخر زمان الإمام البكري عن سابقيه من أئمة التفسير، الأمر الذي مكَّنه من الاطلاع على أكثر أقوال المفسرين وسبرها مع عناية الإمام بتحقيق أقوال المفسرين والترجيح بينها.

سادساً: لم يتعرض الإمام البكري في ترجيحاته للخلافات الفقهية إلا في أضيق دائرة، ورغم ذلك جاءت ترجيحاته مبينة علمه بالفقه وأصوله.

سابعاً: التزامه الموضوعية في الترجيح، وعدم تعصبه لمذهب أو شخص معين، فالمعتمد عنده صحة الدليل.

وصلّ اللهم وسلِّم وبارِك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

ثانيًا: المطبوعات:

1) أصول الفقه، لابن مفلح، تحقيق: فهد بن محمد السَّدَحان، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، 1999م.

2) الأعلام للزركلي لخير الدين الزركلي، قاموس تراجم لأشهر رجال ونساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، طبعة الدار العلمية، بيروت، الطبعة الخامسة، أيار/ مايو 1980م.

3) تفسير البكري، تأليف: شيخ الإسلام أبي الحسن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الصديقي البكري، (ت 952هـ)، تحقيق وتخريج وتعليق: الشيخ/ أحمد فريد المزيدي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 2010م.

4) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجُعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، طبعة: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، 1422هـ.

5) جامع كرامات الأولياء للشيخ يوسف إسماعيل، طبع بمصر، وكشف الظنون لحاجى خليفة ، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت.

6) الرسالة، تأليف: الإمام الشافعي، تحقيق: رفعت فوزي، دار الوفاء – المنصورة ـ مصر، الطبعة الأولى، 2001م.

7) شذرات الذهب في أخبار من ذهب للمؤلف عبد الحي أحمد بن محمد بن العماد العكبري الحنبلي (ت 1089 هـ)، دار ابن كثير دمشق 1406هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط.

8) قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين بن علي الحربي، طبعة: دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى، 1417هـ – 1996م.

9) الكواكب الدرية في تراجم الصوفية للمناوي طبعة: المكتبة الأزهرية.

10) الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين محمد بن محمد للغزي، الطبعة الأولى، 1418هـ – 1997م، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

11) مدارج السالكين لابن القيم، تحقيق: حمد المعتصم بالله البغدادي، طبعة: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1416 هـ – 1996م.

12) معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

13) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، بدون طبعة.

---

[1] 1(1) ينظر: مدارج السالكين (1/ 11).

(2) ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب للمؤلف عبد الحي أحمد بن محمد بن العماد العكبري الحنبلي ت 1089 هـ دار ابن كثير دمشق 1406هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط (8/ 292)، معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة (10 / 137)، طبعة: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الأعلام للزركلي لخير الدين الزركلي، (7 / 57)، الدار العلمية، بيروت، قاموس تراجم لأشهر رجال ونساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الطبعة الخامسة، أيار/ مايو 1980م، والكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين محمد بن محمد للغزي (2/ 192 : 194) الطبعة الأولى، 1418هـ -1997م، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، والكواكب الدرية في تراجم الصوفية للمناوي (4 / 18)، طبعة: المكتبة الأزهرية، جامع كرامات الأولياء للشيخ يوسف إسماعيل (1 / 181) طبع بمصر، وكشف الظنون لحاجى خليفة (2 / 1996م)، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت.

(3) مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية، ص: 39

(4) تفسير البكري (242/1).

(5) تفسير البكري (253/1).

(6) تفسير البكري (288/1).

(7) تفسير البكري (400/1، 401).

(8) مقدمة في أصول التفسير، ص: 39

(9) أخرجه البخاري (4/9 رقم 6876) ولفظه: عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن يهوديا رض رأس جارية بين حجرين، فقيل لها: من فعل بك هذا؟ أفلان أو فلان، حتى سمي اليهودي، فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم «فلم يزل به حتى أقر به، فرض رأسه بالحجارة».

(10) تفسير البكري (103/1).

(11) تفسير البكري (144/1)، والحديث أخرجه أبو الشيخ في العظمة (587/2).

(12) تفسير البكري (1/ 271).

(13) تفسير البكري (318/1).

(14) مقدمة في أصول التفسير، ص: 40.

(15) تفسير البكري (46/1).

(16) تفسير البكري (60/1).

(17) تفسير البكري (432/1).

(18) تفسير البكري (43/1).

(19) تفسير البكري (48/1).

(20) تفسير البكري (59/1).

(21) تفسير البكري (112/1).

(22) الموافقات (131/2).

(23) تفسير البكري (34/1 و35).

(24) تفسير البكري (75/1).

(25) تفسير البكري (426/1).

(26) تفسير ابن جرير (581/6 و582).

(27) تفسير البكري (217/1).

(28) ينظر: تفسير البكري (230/1).

(29) قواعد الترجيح (137/1).

(30) تفسير ابن جرير (237/12).

(31) تفسير البكري (46/1).

(32) المحصول (309/2).

(33) أصول الفقه، لابن مفلح، تحقيق: فهد بن محمد السَّدَحَان، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، 1999م (880/3).

(34) الرسالة، تأليف: الإمام الشافعي، تحقيق: رفعت فوزي، دار الوفاء – المنصورة . مصر، الطبعة الأولى، 2001م، ص: 89.

(35) تفسير البكري (1/ 255).

(36) تفسير البكري (206/1).

[37](37) تفسير ابن جرير (266/16).

(38) تفسير البكري (39/1).

(39) تفسير البكري (413/1).

(40) تفسير البكري (48/1).

(41) تفسير البكري (70/1).